مؤتمر في الشيشان يعيد فتح صدع تاريخي بين المسلمين السنة

القاهرة ـ (أ ف ب) – قبل عشرة قرون، كانت بغداد ساحة شجار عقائدي بين طائفتين من المسلمين السنة، الحنابلة والاشاعرة، في واحدة من حلقات الانقسام الحاد في التاريخ الاسلامي. قبل أيام، برز هذا الخلاف مجددا على مواقع التواصل الاجتماعي خصوصا وعلى خلفية مؤتمر إسلامي عقد في غروزني.

وحضر المؤتمر رجال دين ودعاة من كل بلدان العالم في آب/أغسطس بهدف تعريف "من هم أهل السنة والجماعة؟" ومواجهة التشدد، بحسب ما أعلن، وبرعاية رئيس الشيشان المثير للجدل رمضان قديروف.

ولم يحضر المؤتمر ممثلون عن السلفيين، ورثة المدرسة العقائدية المنسوبة تاريخيا للحنابلة.

ويعود الانقسام الى العصور الاسلامية الاولى، وظل ماثلا بين التيارين على مدى التاريخ الاسلامي، يشتد ويخبو بحسب الظروف السياسية التي تعيشها المنطقة. ومن أبرز محطات الصراع الحديثة بين التيارين الحرب بين الدولة العثمانية التي تمثل الاسلام السني الصوفي، وأنصار الدعوة الوهابية في شبه الجزيرة العربية، أي المملكة السعودية في ما بعد.

وسيطر الأشاعرة، المدرسة الاكثر شيوعا في الطائفة السنية، على مؤتمر غروزني الذي كان المتحدث الرئيسي فيه شيخ الازهر أحمد الطيب وهو من مدرسة الاشاعرة.

وأصدر المشاركون في المؤتمر بيانا ختاميا يعرف اهل السنة بأنهم الأشاعرة والماتريدية، وهي مدرسة مماثلة للأشاعرة في العقيدة، ما أثار غضبا واسعا في المملكة العربية السعودية حيث تسود المدرسة السلفية، وريثة الفكر الحنبلي.

وقال الداعية السعودي البارز عائض القرني على موقع "تويتر" ساخرا إن "بلاد الحرمين السعودية التي نزل فيها جبريل على رسولنا صلى الله عليه وسلم وفيها الصحابة والتابعون ليست من أهل السنة والجماعة عند مؤتمر الشيشان يا عجبا!".

ونشر الداعية الكويتي السلفي نايف العجمي مقطع فيديو على موقع "يوتيوب" ينتقد المؤتمر. ومما قاله "لا ريب عندي ولا تردد إطلاقا ان أولى الناس دخولا في لقب أهل السنة والجماعة هم أهل الحديث المعروفون اليوم بالسلفيين"، معربا عن أسفه لأن "المؤتمر جاء ليفرق الامة ويمزقها ويجعلها تنشغل بنفسها وخلافتها عن عدوها".

ويقول الكاتب السعودي البارز جمال خاشقجي لوكالة فرانس برس "عندما تعقد مؤتمرا لمناقشة من هم أهل السنة. كيف تتجاهل عمدا ركنا أساسيا منه، وهم علماء السلفية وعلماء أهل الحديث؟ كيف تغفل عن علماء السعودية؟".

وينسب الحنابلة الى الإمام أحمد بن حنبل، أحد الائمة الأربعة الكبار لدى السنة والاستاذ الروحي لابن تيمية الذي يحظى باحترام كبير بين السلفيين، فيما ينسب الأشاعرة الى أبو الحسن الأشعري، أبرز أئمة العقيدة في التاريخ الاسلامي.

– صراع عقائدي في ظل انقسام سياسي –

ونددت بالمؤتمر ايضا هيئات اسلامية عدة لا تنتمي كلها الى المدرسة السلفية، في وقت أعطى البعض تفسيرات سياسية للمؤتمر تتعلق بالنزاعات والانقسامات في الشرق الاوسط، أكثر منها فقهية او عقائدية.

ويقول الكاتب السعودي خاشقجي "إنها مسألة سياسية: إنه مؤتمر سياسي لتهميش القوى الاسلامية".

وفاقم مكان عقد المؤتمر من الجدل، بحسب الباحث في المجلس الاطلسي ها هيلير.

ويتعرض الرئيس الشيشاني قديروف باستمرار لانتقادات بخصوص انتهاكات حقوق الانسان في بلاده. وهو مؤيد لروسيا التي تدعم نظام الرئيس السوري بشار الأسد ضد المعارضين المدعومين من السعودية.

ويقول هيلير لفرانس برس "النتائج التي توصل إليها المؤتمر عقائدية أساسا، لكن مكان انعقاد المؤتمر نتجت عنه ردود أفعال سياسية بسبب تحالفات قديروف السياسية".

وقال الداعية اليمني حبيب علي الجفري لوكالة فرانس برس ردا على اسئلة وكالة فرانس برس عبر البريد الالكتروني، إن قديروف "أنقذ شعبه وأعاد بناء بلاده بعد أن دمرتها الحرب"، مضيفا "الشيشان وبقية جمهوريات القوقاز شهدت مآسي كان أحد أسبابها وجود خوارج العصر التكفيريين الذين يقتلون الناس باسم أهل السنة".

– العلاقة مع الحكام –

ولا يوجد موقف موحد لرجال الدين السلفيين والأشاعرة بخصوص الحكام، فمنهم من يؤيد حكومة بلده ومنهم من يعارض. إلا ان معظم رجال الدين من غير السلفيين هم إجمالا في صف حكوماتهم، مثل الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي الذي ظل مواليا لنظام الاسد الى ان قتل في العام 2013 حين كان يعطي درسا في تفسير القرآن في المسجد.

من السلفيين، ومنهم رجال الدين في المملكة العربية السعودية، من يدعم أنظمة الحكم. ويعتنق الجهاديون، كتنظيم القاعدة مثلا، العقيدة السلفية، ولكنهم على طرفي نقيض مع رجال الدين السعوديين مثلا في ما يتعلق بالموقف من الحكام.

عقائديا، يذهب السلفيون الملقبون ايضا بأهل الحديث، الى التفسير الظاهري للآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي تصف صفات ا، كالآية القرآنية "يد ا فوق أيديهم"، فيقولون مثلا ان على المسلمين إثبات أن يدا حقيقية، ولكن كيفيتها مجهولة.

بينما يميل الأشاعرة إلى تأويلها فيقولون ان اليد هنا تعني القوة او الكرامة، ويتهمون السلفيين بتشبيه ا بمخلوقاته.

وكذلك يستهجن السلفيون الى حد الإخراج من الملة، أفعال المسلمين الذين يتوسلون بالاموات الصالحين او يطلبون منهم الشفاعة، فيما يعتقد كثيرون من الأشاعرة لا سيما الصوفيين منهم، ان ذلك مباح.

ولم يذكر بيان مؤتمر الشيشان الحنابلة الا كمذهب للفقه الإسلامي، وليس كمدرسة عقيدة اسلامية. وبعد الجدل، أعيدت صياغة بيان المؤتمر ليشمل ذكر "أهل الحديث" كسنة.

ونفى حبيب علي الجفري أن يكون هدف المؤتمر استبعاد السلفيين. وقال "المؤتمر لم يستثن المذكورين من أهل السنة، وما تم ترويجه مجرد شائعات تم تلقفها بغير تثبت ولا تبين".

وأضاف "لما رأت إدارة المؤتمر انتشار أكذوبة أن المؤتمر قد أخرج أهل الحديث من أهل السنة تمت إضافتهم إلى الأشاعرة والماتريدية".

واوضح أن "الأسلوب الصحيح هو قبول وجوده بصفته من مظاهر التنوع المقبول في إطار أهل السنة"، مضيفا "الأشاعرة والماتريدية يمثلون ما يزيد عن 95% من علماء السنة، ومع ذلك ما تزال هناك منابر تتحدث عنهم بوصفهم فرق أخرى موازية لأهل السنة".